

مصطلح التشاكل عند عبد الملك مرتاض

من خلال كتبه: (شعرية القصيدة-قصيدة القراءة، نظام الخطاب القرآني، التحليل السيميائي للخطاب الشعري)

أ. نسرین بن الشيخ

This study takes the term of "isotopy" as an object in three books of: Dr Abdelmalek Mortad. This term is a analyzes instrument of literary texts, and it means to Dr: mortad that " the linguistique elements have an apparent meaning or internal one and has been in the expression or in the form. And these elements are similar or near identique in a particular way : morphology or grammatically; rythmically through network and heterotopies with replacements due the relationship is contextual determine the importance of sense.

There are several levels of isotopy makes a very important serving the harmony of the text.

قبل ولوجنا إلى ثنايا هذه الدراسة و البحث عن مفهوم مرتاضي لمصطلح التشاكل كان لا بدّ لنا من الإشارة إلى اعتمادنا على ثلاثة كتب للباحث الدكتور عبد الملك مرتاض و هي: شعرية القصيدة- قصيدة القراءة، نظام الخطاب القرآني، التحليل السيميائي للخطاب الشعري. و أننا سنعمد في كل تعريف لغوي قد يعرض لنا في هذا الفصل على معجم مقاييس اللغة لابن فارس. إلا إذا اعترض البحث مصطلح أجنبي حديثي، فإنه من اللازم الاستعانة بقواميس حديثة للإمام بمفاهيم هذه المصطلحات.

كما لا بد من الإشارة إلى طريقة عملنا لتحديد مفهوم التشاكل لدى مرتاض في هذه المدونة. هذه الطريقة تقوم أساسا على :

- إحصاء كل السياقات التي ورد بها مصطلح التشاكل بكل صيغ تواجده.
- دراسة المصطلح المستخرج في المعاجم اللغوية أولا، ثم محاولة تحديد مفهوم المصطلح من خلال السياقات التي وردت بها في المدونة أو من خلال تحليل أمثلة وردت لشرح هذه المصطلحات بغية الخروج بمفهوم مرتاضي لها.
- تفهم النصوص التي جاء بها المصطلح نصّا نصّا تفهما يستعين بكل ما يؤمن الفهم السليم للمصطلح. من شروح للمصطلحات أو تحديدات لها ومراعاة مختلف النصوص التي قد تشير إلى مفاهيم للمصطلح دون ذكره لفظا.

للحديث عن مصطلح التشاكل لا بد من الإشارة إلى شقين : الشق الأول يتضمن الحديث عن المصطلح كمصطلح ومدلوله اللغوي، والشق الثاني يتضمن الحديث عن مفهوم المصطلح كأداة إجرائية نقدية. والتعريف اللغوي للتشاكل نجد أنه يجمع بين معاني متفقة أهمها : المشابهة، والمماثلة و المجانسة والاتفاق.

1-التعريف اللغوي:

أ- يورد ابن فارس في مقاييس اللغة: من باب (ش،ك،ل) « شكل: الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة. تقول هذا شكل هذا، أي مثله، ومن ذلك يقال أمر مشكّل، كما يقال مشتبه، أي هذا شابه هذا، وهذا دخل في شكل هذا، ثم يحمل على ذلك، فيقال: شكلت الدابة بشكّاله، وذلك أنه يجمع بين إحدى قوائمه.

ومن الباب: الشُّكْلَة، وهي حمرة يخالطها بياض. وقال الكسائي: أشكل النخل، إذا طاب رطبه و أدرك، وهذا أيضا من الباب، لأنه قد شاكل التمر في حلاوته ورطوبته و حمرته.¹

ب-الدلالة الصرفية: و إدراكا منا أن بنية الكلمة تتعكس على دلالاتها. فآثرنا إلقاء الضوء على دلالة الوزن الصرفي لمصطلح التشاكل لاكتمال الدراسة اللغوية. « المعاني التي لها الألف بين الفاء والعين:

1-المشاركة: وهي الدلالة على أن الفعل حادث من الفاعل والمفعول معا، فأنت إذا قلت مثلا: ضرب زيدُ عمراً. كان معنى هذه الجملة أن زيدا ضرب عمرا، أي أن الضرب حادث من زيد وحده، أما إذا قلت: ضارب زيدُ عمراً. كان معنى الجملة أن زيدا ضرب عمرا كما أن عمرا ضرب زيدا، فالضرب حادث من الاثنين.

2-المتابعة: وهي الدلالة على عدم انقطاع الفعل، مثل: واليت الصوم، تابعت الدرس²

ويورد أيضا في معنى الوزن (تفاعل): « تفاعل: وأشهر معانيه

1-المشاركة بين اثنين فأكثر، مثل: تقائل زيد وعمرو، تجادل زيد وعمرو وعلي.³ فنلاحظ اشتراك مصطلح التشاكل في دلالاته المعجمية ودلالة وزنه الصرفي في معنى المشاركة، أو التشارك في شيء واحد.

أما مصطلح التشاكل كإجراء نقدي استعمل من قبل السيميائيين الذين اجتمعت جهودهم في ما سمي مدرسة باريس، فلاحظنا كيف استعير هذا المصطلح من حقله الأم الكيمياء إلى حقل النقد الأدبي علي يد غريماس وأنه وسّع مفهومه على يد تلاميذه ككورنيس وراستي وأريفي.

و خضعت كتب مرتاض الثلاثة إلى عملية إحصاء دقيقة جدا بهدف تحديد مدى حضور هذا المصطلح وكذا مفهوم الباحث عبد الملك مرتاض للتشاكل كأداة إجرائية استعملها في تحليل نصوص أدبية شتى، وسنحاول تتبع هذا المصطلح وكيفية وروده في المدونة المختارة حقلًا للدراسة بغية تحديد المفهوم المرتاضي لهذا المصطلح السيميائي. ومصطلح التشاكل كان حاضرا في المدونة بشكل لافت. حيث تبين الجداول التالية نسب توزيعه في كل كتاب من كتب المدونة وفي كل قسم من أقسامها. لتتضح فعلا سيادة المصطلح في المدونة من خلال عدد مرات وروده في الكتاب الواحد كل على حدى:

أولا: شعرية القصيدة – قصيدة القراءة

أقسام الكتاب	عدد مرات ورود المصطلح	نسبة وروده
التقديم (ص1-ص33)	06 مرات	1,11%
المستوى1(ص33-ص83)	291 مرة	54,29%
المستوى2(ص85-ص129)	201 مرة	37,50%
المستوى3(ص130-ص178)	32 مرة	5,97%
المستوى4(ص179-ص231)	06 مرات	1,11%
المستوى 5(ص-ص261)	00	00
المجموع	536مرة	100%

ثانياً: نظام الخطاب القرآني

أقسام الكتاب	عدد مرات ورود المصطلح	نسبة وروده
الاستهلال(ص6←ص24)	03 مرات	1,25%
المستوى1(ص26←ص68)	00	00%
المستوى2(ص69←ص115)	04 مرات	1,66%
المستوى3(ص117←ص155)	00	00%
المستوى4(ص157←ص216)	230 مرة	95,83%
المستوى5(ص218←ص261)	00	00%
المستوى6(ص263←ص301)	03 مرات	1,25%
المجموع	240مرة	100%

ثالثاً: التحليل السيميائي للخطاب الشعري

أقسام الكتاب	عدد مرات ورود المصطلح	نسبة ورود المصطلح
مدخل(ص5←ص30)	49 مرة	23,93%
المستوى1(ص32←ص85)	155مرة	73,80%
المستوى2(ص86←ص114)	06 مرات	2,85%
المستوى3(ص115←ص)	00	00%
المجموع	210 مرات	100%

كانت هذه النسب التي توزع بها مصطلح التشاكل في المدونة بمختلف صيغه. حيث يظهر لنا حجم الاستعمالي وثقله في كل كتب المدونة إذ استخدم من قبل الباحث عبد الملك مرتاض - بمختلف صيغه اللفظية- حوالي (536 مرة) في الكتاب الأول وهي نسبة معتبرة لها دلالتها متمثلة في شغف الباحث مرتاض بادئ أمره بالمصطلح و جعله من أمر ترسيخ قواعد القراءة من منظور التشاكل همماً شخصياً بالنسبة له. لأننا نجد بعد أن استنام للمصطلح كأداة مهمة لها دورها في قراءة النص الأدبي لم يتراجع شغفه بالمصطلح بقدر ما اتضحت له الرؤية واكمل له الفهم، فنجده يجعل من التشاكل زاوية قائمة بذاتها لا يمكن الاستغناء عنها في قراءة النصوص فنلاحظ أن عدد مرات ورود المصطلح في الكتابين التاليين قد جاء بعدد شبه متقارب حيث ورد في الكتاب الثاني بحوالي (240) مرة و (210) مرات في الكتاب الأخير وهي أرقام لها دلالاتها من حيث القلة و الكثرة، ومن حيث التوزيع. حيث أفرد الباحث مرتاض للقراءة التشاكلية كما أشرنا قسماً خاصاً لاستنمته لفضل التشاكل كأداة إجرائية في سبر أغوار النصوص .

و سنحاول تحديد مفهوم التشاكل كإجراء نقدي لدى الباحث عبد الملك مرتاض دون قيد إضافي أو وصفي أو عطف على الرغم من ثراء المدونة بكل الصيغ، و لا بأس بأن نشير في هذا الصدد إلى أن المصطلح المدروس قد ورد - نكرة أو معرفة- في المدونة بكتبها الثلاثة مجتمعة: (218) مرة جاءت متفاوتة الورود في كل كتاب بين (112) مرة في شعرية القصيدة الكتاب الأول، و (54) مرة في نظام الخطاب القرآني، و بعدد قريب في الكتاب الأخير التحليل السيميائي للخطاب الشعري(52) مرة.

و مثلَّ مصطلح التشاكل -نكرة أو معرفة- ما نسبته 22.10 % في المدونة مجتمعة مقارنة بالمصطلح المقيد بالوصف أو العطف أو الإضافة أو غيرها، وهي نسبة معتبرة. لكن الملاحظ هو التفاوت الكبير في استعمال هذا المصطلح بين الكتب الثلاثة ففي شعرية القصيدة ورد بما نسبته: 51.37 % و في نظام الخطاب القرآني 24.77 % أما الكتاب الثالث والأخير: 23.85 %. حيث تعلو النسبة في الكتاب الأول وهذه النسبة العالية لا ترجع لكبر حجمه، بقدر ما تعود لتلك الشراهة العلمية التي تلقف بها الباحث مرتاض التشاكل كإجراء نقدي طبقه على نص " أشجان يمانية " للشاعر اليمني عبد العزيز المقالح.

ننتقل الآن إلى النصوص التي ورد بها مصطلح التشاكل دون قيد إضافي أو وصفي أو غير ذلك من صيغ أخرى جاءت مقترنة بلفظ التشاكل أو إحدى مشتقاته.

يورد مرتاض في كتاب شعرية القصيدة وهو أول الكتب صدورا قوله « يعد التشاكل فرعية من الفروع السيميائية التي اهتدى إليها السبيل غريماس في تأملاته وتجاربه حول نظرية النص الأدبي. وقد حلل بها نموذجا قصيرا استشهد به من نص سردي فرنسي قصير، كتب سنة اثنتين وستين وتسعمائة وألف، فاستخرج منه خمسة تشاكلات»⁴

مما يلاحظ حول هذا النص أن مرتاض ضمَّه إشارة تاريخية لظهور المصطلح لدى غريماس، وأنه نتيجة مترتبة عن تجاربه حول النصوص الأدبية. مما يظهر اتخاذ مرتاض من الجهود السيميائية الغربية ركيزة في رؤيته للتشاكل كأداة إجرائية. ويظهر هذا جليا في ثنايا المدونة حيث يذكر في نفس الكتاب تعاريف رواد مدرسة باريس السيميائية في مقطع مطول نوعا ما يقول فيه: « والمشكلة أو التشاكل فرع من فروع السيميائية وغايتها تتمحور لخدمة الدلالة عبر الجملة، وبالتالي عبر النص وبالتالي عبر الخطاب الأدبي. فهي إذن تستخدم في الكشف عن العلاقة الدلالية بواسطة الإجراءات التحليلية لتتخذ معنى خصوصا يجب أن يتسم بالجدة. و التشاكل يتألف من تكررات (iterativites)، أو متواترات، عبر سلسلة تراكبية، كما يتألف من أصناف سيميائية تحفظ للخطاب تناسقه وبناء على ذلك فإن أي تركيب يمكن أن يجمع في نفسه صورتين معنويتين على الأقل فيعد السياق الأدبي الذي يتيح إنشاء تشاكله»⁵

فهذا النص إن بيّن شيئا، فهو يظهر تأثيره بالمفهوم الغربي الغريماسي للتشاكل. القاضي بدوره المهم في خدمة الدلالة عبر النص الأدبي، ومساهمته في الكشف عن العلاقات الدلالية التي تربط بين مكونات الخطاب الأدبي. وأن التشاكل ببنائه يتكون من تكررات تكون عبر سلسلة تراكبية تؤمن للخطاب الأدبي انسجاما.

ليخرج الباحث عبد الملك مرتاض بتعريف خاص به يصرح فيه بتأثره بالمفهوم الغربي فيقول: « يمكن بناء على هذا التمثيل العام للإشكالية لدى المنظرين الغربيين، أن نعرف التشاكل تعريفا مؤقتا على الأقل في انتظار تبلور أوجه هذه المسألة على أنه: تشابك لعلاقات دلالية عبر وحدة ألسنية، إما بالتكرار، أو بالتماثل، أو بالتعارض سطحا وعمقا، وسلبا وإيجابا»⁶

إن تعريف مرتاض يمكن أن نجد فيه العديد من الملاحظات أهمها: اعتماده على المفهوم الغربي خاصة في دور التشاكل بالنسبة لخدمته للدلالة، إلا أن هذا لا ينفي اجتهادا مرتاضيا في المفهوم. حيث الصبغة المرتاضية الخاصة تظهر في إشارته إلى أمر لم يظهر في تعريفات مدرسة باريس بداية من غريماس وصولا إلى تلاميذه، ألا

وهي طريقة إنشاء التشاكل أو مسببات التشاكل في الخطاب الأدبي الأمر الذي أطلق عليه مرتاض: التكرار، التماثل، الاتفاق...

والتشاكل هو إجراء نقدي وزاوية من خلالها يدرس النص الأدبي حيث يقول في إحدى المواضع في مدونته: « فولجنا إلى اللغة القرآنية من خلال سورة الرحمن عن طريق مقارنة سيميائية في قراءة هذه اللغة تحت زاوية التشاكل والتباين»⁷ وأن الهدف من استعمال التشاكل كأداة إجرائية هو تحديد منهجية للقارئ حيث يشير: « إن الغاية من وراء هذا المسعى المتجسد في تحليل النص بالتشاكل لم تكن متابعة استقرائية للغة القرآن عبر سورة الرحمن كلها وإنما كان رسم طريق وترسيخ منهج أمام القارئ أساساً»⁸ فمرتاض يستعمل التشاكل كأداة يقرأ بها النصوص ويحللها من خلالها بغية تحديد معالم منهج أمام المتلقي لتقرأ بواسطته النصوص. فهو بهذه القراءة التشاكية يريد أن يكرس مبدأ التشاكل، وأن يجعله ركناً أساسياً في تحليل النص الأدبي.

و يشير مرتاض في عدة مواضع إلى أمر هام جدا يخص مصطلح التشاكل وهو وجود إشارات تراثية عربية بلاغية إلى هذا المفهوم، حاول فيها البلاغيون العرب أن يحوموا حول معنى التشاكل دون الوقوع عليه ويظهر ذلك في بعض المفاهيم البلاغية مثل: المقابلة، اللف والنشر، مراعاة النظير

ويقول في هذا الصدد: « كنا اصطنعنا في كتابات سابقة لنا مصطلح التشاكل وإن كنا نبهنا على وجود ما في بعض هذا المصطلح من معنى في البلاغة العربية، وإنا كذلك إذ وقع لنا نص عجيب للشيخ "عمر بن مسعود بن ساعد المنذري" يذكر فيه (من كتاب مخطوط عنوانه " كشف الأسرار المخفية في علم الأجرام السماوية و الرقوم الحرفية") ألفيناه يصطنع " المشاكلة" و " المقابلة" فإزداد اقتناعنا بعظمة التراث العربي الإسلامي. وممن كان يكثر من استعمال هذا المصطلح ويستعمله في قريب من معنى المصطلح السيميائي الغربي أبو عثمان الجاحظ، وربما كان يطلق عليه لفظ المشاكلة»⁹

فيظهر هاجس مرتاض في العودة بالمصطلح الغربي إلى التراث العربي بغية تلمس ما قد يناسبه أو يوافقه من اجتهادات العرب الأوائل. بل ولا يتحرج من اصطناع المصطلح البلاغي التراثي ألا وهو المشاكلة كمرادف للتشاكل. ولا يلبث مرتاض بعد هذه الإشارة التراثية لمفهوم التشاكل التي رأى أن البلاغيين العرب حاولوا الإلمام به دون الوقوع على المفهوم الغربي له، أن يشير إلى الأصول الكيميائية للمصطلح والمعنى اللغوي للمصطلح الأجنبي (isotopie) الذي يحمل معنى التساوي في المكان في أصوله اللاتينية، ليصبح دالاً على التساوي في الكلام.

و مرتاض بعد اعترافه في التعريف الأسبق الذي أوردناه له بأنه تعريف أني، ولم يتبلور بشكل تام ومكتمل نجده يورد تعريفاً يظهر فيه استنامته إليه كتعريف مرتاضي للتشاكل، والدليل على استنامته لهذا التعريف هو وروده في كتابيه الأخيرين بنفس المعنى تقريبا. وبعد إشارته للجهود العربية البلاغية والجهود الغربية يخرج مرتاض بهذا التعريف للتشاكل يقول: « هو كل ما استوى من المقومات الظاهرة المعنى والباطنة والمتجسدة في التعبير أو الصياغة الواردة في نسج الكلام: متشابهة أو متماثلة أو متقاربة على نحو ما مورفولوجيا أو نحوياً أو إيقاعياً أو تركيبياً أو معنوياً عبر شبكة من الاستبدالات والتباينات بحكم علاقة سياقية تحدد موقع الدلالة»¹⁰

فهذا التعريف الذي يرتضيه مرتاض تعريفاً للتشاكل نلمس فيه مزاجاً بين المفهوم الغربي والمفاهيم البلاغية العربية، فيظهر تأثره بالتعريف الغربي في توظيفه فكرة التساوي في الكلام التي ارتأها غريماس بنقله لمصطلح التشاكل من حقل الكيمياء . ويتجلى ذلك تحديداً في قوله: "كل ما استوى من المقومات، ضف إلى ذلك دور التشاكل في خدمة الدلالة عبر الخطاب الأدبي". أما ما كان من تأثير التراث البلاغي العربي فهو إشارته إلى الوضع الذي تتخذه المقومات لتتساوى في الكلام وبالتالي تتشاكل. في قوله: "متشابهة أو متماثلة، أو متقاربة"، هذه الوضعيات التي تساهم في خلق وولادة التشاكل بين المقومات.

والباحث مرتاض يدرك جيداً أن التشاكل كمصطلح ومفهوم لا يزال بحاجة إلى التبلور والصفق، ويعترف بأنه مصطلح حدائي وحدائته في الخطاب النقدي العربي المعاصر هي من تحول دون تبلور مفهومه حيث يقول: « و التشاكل أو المشاكلة، بهذا المفهوم من المصطلحات اللسانياتية التي لمَّا تنتشر بين عامة النقاد ومحلي النصوص ومؤولبيها. ويبدو أنه لم يصطنع إلا في العشرين عاماً الأخيرة في المغرب العربي »¹¹

ويظهر أن الباحث في حد ذاته لم يستطع الثبات على تعريف للمصطلح فبعد استنائه للتعريف الأسبق في كتابيه الأخيرين نجده يشير في كتابه نظام الخطاب القرآني إلى التشاكل قائلاً: « والتشاكل في تصورنا وفي سيرة تطبيقاتنا لمفهومه هو تبادل الخصائص الشكلية بكل مظاهرها النحوية والمورفولوجية والإيقاعية : إفرادية كانت أم تركيبية»¹² على الرغم من عدم وجود فارق كبير بين التعريفين إلا أننا نجد الباحث مرتاض يؤكد على قاعدة مهمة في رؤيته لمفهوم التشاكل ألا وهي : تبادل الخصائص بين المقومات نحويًا أو مورفولوجيًا أو إيقاعيًا من خلال علاقات سياقية الأمر الذي يخدم الدلالة عبر الخطاب الأدبي.

وحداثة المصطلح واضطراب مفهومه هو السبب الذي دفع مرتاض إلى الذهاب به بعيداً من حيث الاستعمال والتطبيق على النصوص، بغية ترسيخه لدى القارئ العربي. بل لم يتوقف جهده عند حد توسيع التشاكل كأداة إجرائية عند حد كثرة الاستعمال والتطبيق بل تجاوزها إلى محاولاته الحثيثة لإثراء مفهومه من خلال توظيف التشاكل في مدارسة نصوص مختلفة الطبيعة بين الدينية والأدبية والشعبية أو أياً كان نوعها. و مرتاض يعد القارئ بهذا الإثراء في مفهوم التشاكل فيقول: « ... وإثراء مفهوم التشاكل بحيث يغتدي صفيحة حساسة قابلة وقادرة معا على التحرك في أي اتجاه شئناه لها »¹³

وكما أشرنا في موضع سابق فإن من بين ما أضافه مرتاض بالنسبة للتشاكل، تلك المسببات التي يتولد من خلالها التشاكل: التماثل، التجانس، والتلاؤم ... الخ.

حيث تلعب هذه المصطلحات دوراً هاماً في خلق التشاكلات بمختلف أنواعها، فهو يستعيض مثلاً في التدليل على وجود علاقة تشاكلية بين المقومات في قوله تعالى: ﴿ وَيَجَلَّ عَلَيْهِمُ الطَّيِّبَاتُ وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثُ ﴾¹⁴ يقول مرتاض عن التشاكل في هذه الآية الكريمة: «... وذلك أيضاً من حيث تلاؤم فعل مضارع مع فعل مضارع، وجرر مع جار ومجرور أيضاً، واسم منصوب مع اسم منصوب مثله فليس هناك إذاً من هذا المنظور أي اختلاف أو تعارض بين هذه العناصر الألسنية»¹⁵

إن تلاؤم هذه العناصر هو الذي أدى إلى تشاكلها، فهو طريقة من طرائق التشاكل، والدليل على ذلك ما يورده مرتاض في موضع آخر قائلاً: « ويمكن قراءة طرفي الكلام في هذا الشاهد قراءة تشاكلية من وجهة تلاؤمية

حيث إن: وضع الحلال مع ما يلائمه وهو الطيب وربط هذين المقومين بقيد يلائمهما أيضا وهو لهم الدال على إتاحة الامتلاك والاحتياز»¹⁶ فنلاحظ أن التشاكل بين المقومات توفر بوجود تلاؤم بينهما، والعكس صحيح فغياب التلاؤم بين المقومات سيغيب التشاكل ففي نفس الآية السالفة الذكر المقومان: (يحل - عليهم) يقول حولهما مرتاض: «يحل - عليهم: يتباينان في أن الأول إيدان بالامتلاك ، والآخر إيدان بالحرمان وفي أن الأول انتشاري، والآخر انحصاري وفي أن الأول فعل (أو جملة فعلية إذا راعينا المعمول المستتر) ، والآخر شبه جملة تتخذ لها خصائص الاسمية، ثم في أن الأول والآخر معا لا يتلائمان في أي خاصية من الوجهة المورفولوجية، ولا نرى فيهما شيئا من المشاكلة»¹⁷

إضافة إلى التلاؤم يقوم التشاكل ويتوفر بوجود التماثل أو المماثلة بين المقومات، ففي قراءة مرتاض لقول الشاعر عبد العزيز المقالح في نص أشجان يمانية:
أمشي وراء صوته
يمشي وراء صوتي

يقول مرتاض في قراءته لهذين السطرين الشعريين: « وهناك تشاكل أخير يقوم على تماثل المورفولوجيا والإيقاع في كل من الوجدتين»¹⁸

إضافة إلى التلاؤم والتماثل، توجد مسببات أخرى لتوليد التشاكل في نظر مرتاض كالتجانس أو المجانسة ففي مدارسته لقول المقالح: (يخرج من رماد الأمس - ينسل من رمال اليوم) يرى بأنه: «... يوجد تشاكل آخر بين زوجي: من رماد - من رمال من حيث تجانس الدلالة في حيزين مكونين من ذرات غير مخصصة عادة، و قابلة لأن تذروها الريح ذروا؛ مما يجعلنا نصنف معناهما في الانتشاريات»¹⁹
من التجانس إلى الاتفاق الذي يجعله الباحث عبد الملك مرتاض من بين موفرات التشاكل ، فالاتفاق في توزيع المقومات نحويا أو مورفولوجيا أو وفق أي مستوى من المستويات يدفع بهذه المقومات نحو التشاكل أكثر وهو ما رآه مرتاض²⁰ في قول المقالح: (موسم النوم - موسم الحزن) حيث لاحظ اتفاقهما من حيث التوزيع النحوي بين التركيبين الاثنتين: اسم نكرة مرفوع + اسم معرفة مجرور .

ومن بين ما يجده مرتاض يخدم التشاكل ويؤدي إلى وجوده إضافة إلى كل ما سبق ذكره ما سماه هو التلازم بين المقومات، ففي قراءته لقول المقالح: خنجر الأرق - يكتب الجرح يقول: « يقوم التشاكل في هذا الكلام على وجود علاقة متلازمة بين زوجي: خنجر - الجرح
حيث إن كلا منهما مرتبط بالآخر، ولا يمتنع من أن يحيل عليه: إذ لا الجرح ينبغي له أن يحدث بدون فعل الخنجر، ولا هذا الخنجر يجوز أن يظل بريئا من فعل الجرح ومجردا من مسبباته»²¹ فارتباط مقومين ارتباطا تلازميا حسب مرتاض يؤدي بهما إلى التشاكل.

الائتلاف بين المقومات لدى مرتاض يعد أيضا من بين ما يخلق التشاكل. ففي قوله تعالى: ﴿ الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان ﴾²² يرى أن المقومين: بحسبان ويسجدان إن كلا منهما خماسي التركيب، بالإضافة إلى مواطن الائتلاف الصوتي إذ تبلغ درجة هذا الائتلاف بينهما نسبة كبيرة»²³

وأخير مما يعتبره مرتاض من بين أدوات خلق التشاكل: التشابه بين المقومات حيث يحل قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَكَيْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ يقول حول مقومي (الأنام/ النخل ذات الأكمام): « يحكم هذين الزوجين تشاكل مركب يتمثل في تشابه الأحوال النحوية: ثلاثة أسماء وصفة وهي ملحقة بالأسماء »²⁴

إذا دققنا النظر في جملة المصطلحات السابقة (التلاؤم والتماثل والتجانس والاتفاق...) وعدنا بها إلى الدلالة اللغوية لمصطلح التشاكل نجد بينهما تطابقا، مما يدفعنا إلى القول أن مرتاض لم يقف بالتشاكل عند مفهومه الغريمسي الأول ولا عند إضافات مدرسة باريس بل حاول هو أيضا من خلال إيجاده لمسببات التشاكل أن يوسع من مفهوم التشاكل بتحديد وجهات عديدة تخدمه وتعمل على توفره عبر المقومات. التي استقاها من المزوجة بين الدلالة الاصطلاحية لمصطلح التشاكل ودلالته التي تضمنتها أمهات المعاجم العربية، ومن خلال مخامراته للنصوص الأدبية وتحليلها وسبر أغوارها من خلال استخدام التشاكل أداة في ذلك ، ليخرج مرتاض بمفهومه الخاص للتشاكل على اعتبار أنه أداة إجرائية يدرس بها النص الأدبي، والذي يراه ممثلا في ذلك التساوي والتوافق والتشابه والتلاؤم بين المقومات والعناصر الألسنية في مستوى معين من المستويات سواء نحويا أو مورفولوجيا أو صوتيا، هذا التلاؤم والتماثل الذي يخدم في الأخير الدلالة عبر الجملة وعبر الخطاب الأدبي من خلال انسجام الخطاب، هذا الأخير الذي بوجوده تتحقق الدلالة، لهذا نجد أن التشاكل هو المسؤول عن انسجام الخطاب وبالتالي تحقيق الدلالة.

الهوامش:

- ¹ احمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2008، ص: 511، 512.
- ² عبده الراجحي: التطبيق الصرفي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص: 31.
- ³ المرجع نفسه، ص: 34.
- ⁴ عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة-قصيدة القراءة، ص: 33.
- ⁵ المصدر نفسه، ص: 42.
- ⁶ نفسه، ص: 43.
- ⁷ عبد الملك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، دار هومة، الجزائر، 2001 ص: 20.
- ⁸ المصدر نفسه، ص: 22.
- ⁹ المصدر نفسه، 157.
- ¹⁰ نظام الخطاب القرآني، ص: 157، وكتابه التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص: 19.
- ¹¹ نظام الخطاب القرآني، ص: 157.
- ¹² المصدر نفسه، ص: 159.
- ¹³ التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص: 08.
- ¹⁴ سورة الأعراف، الآية: 157.
- ¹⁵ شعرية القصيدة، ص: 36.
- ¹⁶ المصدر نفسه، ص: 38.
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص: 40.
- ¹⁸ المصدر نفسه، ص: 63.
- ¹⁹ المصدر نفسه، ص: 65.
- ²⁰ المصدر نفسه، ص: 72.
- ²¹ المصدر نفسه، ص: 69.
- ²² الرحمن، الآية: 5، 6.
- ²³ نظام الخطاب القرآني، ص: 174.
- ²⁴ نفسه، ص: 194.